

إلى الفقيد الغالي

الشيخ عمر قاسم العيسائي في سطور

الخالد فينا

الشيخ عمر قاسم العيسائي

من:

سالم صالح محمد

فضل علي النقيب

علي صالح محمد

- ولد في عام 1919م في مسقط رأسه قرية (القمع) إحدى قرى مكتب الموسطة بياض، وعاش طفولته فيها مع أترابه.
- غادر قريته في شبابه المبكر إلى عدن، المدينة التجارية ذات الشهرة العالمية حينها، وفي عدن بدأ نشاطه التجاري المتواضع في تجارة الأقمشة والمنسوجات في مطلع الأربعينيات من القرن العشرين، في حافة الشيخ عبدالله في حي كريتر التجاري الشهير حينها، وكان محله التجاري بجوار محل رفيق دربه الشيخ علي عبدالله العيسائي، الذي ربطتهما صفة شخصية وشراكة في عدة أعمال تجارية، حتى أصبحا من رجال الأعمال البارزين.
- ومن عدن نقل جزءاً من نشاطه التجاري إلى المملكة العربية السعودية، حيث أسس مركز أعماله في مدينة جدة ومنها كانت انطلاقته الكبرى في نشاطه التجاري الواسع قبل ما يزيد عن 70 عاماً.
- أصبح الشيخ عمر رحمه الله مدرسة في العمل التجاري، إذ تمكن هذا الرجل العصامي وخلال سنوات من الانتقال بأعماله التجارية والصناعية إلى ساحة المنافسة بقوة في السوق السعودية والإقليمية والدولية، الأمر الذي مكنه من الحضور الفاعل بين الشركات العالمية ليحظى بثقتها وجدارتها في تسويق العديد من الماركات العالمية في السوق السعودية. واستحق صفة رائد الأعمال التجارية والصناعية واحد رجال الأعمال العصاميين.
- بلغت شركاته أكثر من 70 شركة يراوح نشاطها بين مختلف

قطاعات التجارة والزراعة والصناعة والمقاولات والاستثمار في مختلف المجالات داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، كل هذا بسبب عصاميته ومثابرته التي استطاع من خلالها تكوين مجموعته التجارية التي يشار إليها بالبنان، وهي تنشط في مجالات متعددة أهمها: الاستثمار والتطوير العقاري، والسياحة والفنادق، والتجارة العامة، وتجارة الإلكترونيات، ووكالات السيارات، وقطع الغيار، والملابس، والخدمات الصحية والصناعية، والخدمات المالية، والخدمات الهندسية. وقد ترأس الفقيه الشيخ عمر العيسائي مجالس إدارة هذه الشركات لفترات طويلة إلى أن عهد إلى أبنائه: سعيد، عبدالله ومحمد بمباشرة إدارة تلك الشركات تحت إشرافه وتوجيهه المستمر في كل ما يهم مصلحة المجموعة.

- كان نشاط الشيخ عمر قاسم العيسائي في المواد الغذائية هو الأبرز في العصر الحالي منذ أن بدأ هذا النشاط قبل أكثر من نصف قرن بتأسيس قسم المواد الغذائية في شركة عمر قاسم العيسائي بالشراكة مع الشيخ عبدالرحمن هائل سعيد أنعم أحد أقطاب مجموعة هائل سعيد أنعم التجارية التي تمثل واحدة من أكبر المجموعات التجارية والصناعية في اليمن. وتوسعت الأخيرة في أنشطتها وامتدت من اليمن إلى دولة الإمارات العربية المتحدة في السبعينات من القرن المنصرم ثم إلى المملكة المتحدة ودول الشرق الأقصى وجمهورية مصر العربية فيما بعد. ولتدير مجموعة العيسائي خمس شركات تصنيعية وهي الشركة الوطنية لصناعة البسكويت والحلويات NBCC، والشركة المتحدة لصناعة الكرتون المحدودة والشركة الوطنية للصناعات الغذائية المحدودة NFIC، وشركة التوفيق لصناعة البلاستيك والأكياس المنسوجة المحدودة APWS، والشركة المتحدة للأعلاف، وفي الوقت الذي توجه العيسائي إلى المواد الغذائية لم يغفل القطاع العقاري والذي كان الأكثر شهرة بالنسبة للعيسائي. إضافة إلى قطاع السيارات من خلال وكالة سيارات ميتسوبيشي اليابانية وأكملها بوكالة كرايسلر الأمريكية ليكمل بعد ذلك العقد التجاري وليستثمر في أهم أركان المجتمع وهو السكن، فأسس شركاته العقارية الثلاث وهي شركة عقارات للتطوير والتنمية والشركة السعودية للتطوير العقاري والشركة السعودية لخدمات التقسيط،

وقد صنفته الغرفة التجارية لمدينة جدة بين أكبر 100 رجل مال وأعمال في المملكة العربية السعودية. فهو يمتلك بالكامل رأسمال 13 شركة كبيرة هي: العيسائي للسيارات والعيسائي المتحدة السعودية للتطوير العقاري، وعمر قاسم العيسائي للاتصالات والعيسائي بلازا، وعمر قاسم العيسائي للملابس، وعمر قاسم للتسويق، والسعودية لخدمات التجميل، وعمر العيسائي وشركة، والسعودي للتطوير العقاري. كما أنه شريك رئيس في رأسمال ست شركات صناعية كبيرة هي: المتحدة لصناعة البسكويت، بنسبة 50%، المتحدة للصناعات الغذائية بنسبة 33.3%، المتحدة لصناعة الكرتون بنسبة 33.3%، والخليج للعسل الصافي بنسبة 30%، والتوفيق للصناعات البلاستيكية بنسبة 20%. ويمتلك ويتشارك أيضاً مع آخرين بنسب مختلفة في 28 شركة أخرى. كما أن لديه استثمارات مهمة في 6 شركات، وتدير شركاته العقارية بنجاح صندوق (سامبا) العقاري وتمتلك 20% وتدير أيضاً صندوق (الأهلي) للتطوير العقاري.

- يقع المركز الرئيسي لـ 42 من شركاته في السعودية ولشركتين في مصر، ولشركتين في لبنان، ولشركة واحدة في اليمن. ولهذه الشركات منات الفروع في معظم مدن السعودية، والإمارات، ومصر، ولبنان واليمن. وتمتد علاقات شركاته إلى معظم دول العالم. وتمتلك شركات عمر قاسم العيسائي (11) ماركة تجارية مشهورة هي: (أبو سنبلتين)، (لونا)، (شامبيون)، (المزارع الخضراء)، (البطل)، (العسل الصافي)، (تي شوب)، (أوشن)، (أس أي أم أي)، (سيلة)، (رز الجمل الأبيض). كما أن شركات العيسائي هي المتعهد أو الوكيل الوحيد، في السعودية وفي دول أخرى، لمنتجات (31) شركة عالمية كبرى منها: (ميتسوبيشي)، و(هياتشي)، و(جنسون)، و(كريسلر)، و(باناسونيك)، و(الكاتل)، و(بي أم)، و(ميكروسوفت)، و(ماتركس)، و(سيسكو)... الخ.

- لم يكن العمل التجاري هو المقياس الوحيد لحضوره وتأثيره الكبير في المجتمع، بل أن أخلاقياته وتعامله مع كل الناس وسعيه في الخير والصلح بين الناس ورجال الأعمال، جعلت منه شخصية محورية ومثلاً لأخلاقيات الرجل المكافح في الحياة والمحبوب بين الناس.

- كان الشيخ عمر وبحق رجل الخير والبر والإحسان، فقد أسس إدارات متخصصة بأعمال الخير، اتجهت بنشاطاتها الخيرية إلى تلك المجالات التي يمكن من خلالها معالجة مشكلة الفقر بشكل جذري، بحيث يتمكن الفقير من الحصول على عمل يعيل أسرته، ويرفع كرامته، ويكسب منه المال (بعرق الجبين)، دون حاجة للاستجداء أو الاعتماد على الغير. واشتهر بمبادراته الخيرية العديدة التي أثمرت بناء المستشفيات والمدارس والمساجد والأوقاف ووجد نظام المكارم الشهرية من المواد الغذائية لليتامى والمطلقات وكبار السن.. الخ.
- وفي مجال التعليم، أنفق وبسخاء على تعليم آلاف الطلاب المتفوقين في الخارج لنيل شهادة البكالوريوس أو الماجستير، كما تم تجهيز كلية التربية- يافع بأكثر من (مليون ريال سعودي). وتكفل بالصرف على الطلاب الساكنين في قسمها الداخلي بمعونة شهرية طيبة.
- وفي المجال الصحي تكفل الشيخ عمر قاسم العيسائي بعلاج عدد كبير من المرضى الحاصلين على تقارير رسمية أو ممن قصدوه مباشرة دون سابق معرفة وبدون وسيط.
- يصفه عبد العزيز عبد الرحمن النعيم في مقالة رثاء بعنوان "رحيل العصامي المكافح عمر قاسم العيسائي" بأنه علما من معالم الكرم والإنسانية.. وخير رمز للخير والتقوى والعطاء والمواقف النبيلة، صاحب الأعمال الجليلة التي أكسبته الشهرة في العالم على المستوى الشخصي والتجاري. وكتب عنه يقول: "لم يسبق إن دخل عليه صاحب حاجة إلا وكانت مقضيه... بيته مفتوح دائما لكل سائل ومحروم فكان من دخل عنده خرج مبتسما فرحا تلج الصدر... فكان إن أعطا أكرم وزاد ولم ينقص. كرس حياته ليكون اليد التي تعطي قبل أن تسأل وبعد أن تعطي لا تذكر من وكم أعطت، هو سند لكل محتاج غنيا كان أم فقيرا، يمشي بنفسه للبيوت الفقيرة ويدق بابها ويعطي مما أعطاه الله بنفس راضية" (صحيفة "المدينة"، العدد 16346 ، 2008/1/24م).
- وقبيل أن يودع العيسائي هذه الحياة كانت مجموعته قد أعلنت عن

- إطلاق مشروع برج العيسائي، الذي يعتبر أحد المعالم المستقبلية في مدينة جدة ويقع المشروع بمنطقة البلد على شارع الملك عبد العزيز وسط مدينة جدة . ويتكون (البرج) من 24 طابقاً تجارياً منها ثلاثة طوابق سفلية عبارة عن مواقف سيارات مساحة كل منها 1280متراً مربعاً ويعطوها الأراضي والميزانان اللذان يضمن معارض تجارية في حين يضم الجزء الأساس من البرج 21 طابقاً تجارياً مساحة كل منها 408 أمتار مربعة .
- انتقل إلى جوار ربه يوم 6 يناير 2008م عن عمر ناهز الثمانية والثمانين عاماً. وقد وافته المنية في أحد مستشفيات العاصمة البريطانية لندن حيث كان يتلقى العلاج، ونقل جثمانه ووري الثرى اليوم التالي في إحدى مقابر مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية الشقيقة.
- ومن قصائد الرثاء الكثيرة التي قيلت فيه نختار هذه الأبيات من قصيدة رثاء للشاعر الشيخ محمد سالم الكهالي يقول فيها:
رحل من الدنيا عمر قاسم رحل
رحل من الدنيا كثير الخير والإحسان
يا سَعْدَ مَنْ مَثَلَهُ تَقَدَّمَ بِالْعَمَلِ
كَمْ مِنْ مَعْوَقٍ ذِي كَفْلِهِمْ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ
كَمْ مِنْ مَدَارِسٍ، كَمْ مَسَاجِدٍ، كَمْ بَذَلِ
وَكَمْ مَرِيضٍ أَنْقَذَ وَكَمْ مَنَّهُ شَيْعَ جِيْعَانِ
وَكَمْ طَرَقَ ذِي شَقْهَاءٍ، مَا شَيْءٌ بِخَلِ
وَكَمْ نَفُوسٍ أَنْقَذَ وَكَمْ مَنَّهُ كَسِي عَرِيَانِ
وَكَلِيَّةٌ يَافِعُ شَهَادَةً لَمْ تَزَلْ
عَلَى نَفَقَتِهِ عَادَهَا مَحْسُوبٌ حَتَّى الْآنِ
لو كان من يملك كما فعله فعل

ما كان باقي باليمن بانس ولا عطشان

مقدمة

نستودعك الله يا أبا سعيد

بقلم : فضل النقيب

يقف الكاتب أمام بعض الشخصيات الفذة موقف الطفل الذي ولد وعاش بين وفي أحضان سلاسل الجبال العالية المترامية حين يرى البحر للمرة الأولى فتغمره الدهشة والحيرة والإعجاب والحب والخوف من هذه الظاهرة الطبيعية المتدفقة, وإذا ما سُئل عن شعوره عجز عن الإجابة لأن البحر باتساعه وعمقه وأمواجه وأحيائه المتنوعة ورحيله الدائم عبر الكرة الأرضية أكبر في خياله وأوسع من تجربته وأغزر من قاموسه اللغوي وقدراته على التعبير.

ولعلي شعرت بمثل هذا الشعور حين طلب مني الأخ الأستاذ سالم صالح محمد, مستشار رئيس الجمهورية اليمنية, أن أكتب مقدمة لكتيب التابين للشيخ عمر قاسم العيسائي, الرجل الظاهرة, والظاهرة الفذة, الذي عرفته عن مسافة قريبة في طفولتي ثم عرفته معرفة حميمة في شبابي وكهولتي, وعرفته أكثر وأعرق في أحاديث والدي عنه, وقد كان صديقاً له ومعجباً به أشد الإعجاب, وإذا كان أكثر الناس يُعجبون بأبائهم لأسباب عاطفية وأخلاقية وطبيعية, فكيف بالشخصية التي يرى الإنسان والده يثني عليها, كلما جاء ذكرها في محضر أو غياب.

(المصدر : كتاب " كلمات وفاء في رمز
العطاء .. الشيخ عمر قاسم العيسائي" ,
إعداد: د.علي صالح الخلاقي, إصدار كلية التربية -
يافع, جامعة عدن, 2008م) .

والشيخ عمر قاسم العيسائي الذي رحل عن الدنيا الفانية بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال, كان لا يغيب ذكره على مدار الأيام والسنين, وكثيرون ممن لا يعرفونه معرفة شخصية تراهم وتستمع إليهم يتحدثون عنه حديث الذين عايشوه واستمعوا إليه, مصداقاً للآثر " إذا أحب الله عبداً من عباده حبه إلى الناس". ولست هنا في مجال تعداد مآثره والثناء العاطر على سجايه وشمائله, فقد كان بأخلاقه الرفيعة وإيمانه الصادق العميق وتواضعه اللأفت لا يحب سماع المديح ولا التظاهر بأعمال الخير, فهو من ذلك النوع من البشر, الذين سخرهم الله, جلّ و علا, لقضاء حوائج المحتاجين, دون أن تعرف شمال الواحد منهم ما أعطت يمينه.

ولعلّ المثل الأعلى في سيرة هذا الرجل الكبير - والله المثل الأعلى - هو إحسانه إلى أهله الأقربين, كباراً وصغاراً, رجالاً ونساءً, فأخذ بأيديهم جميعاً, لا ليكونوا ضيوفاً في مملكة أعماله, أو عالة عليها, وإنما بناهم وقربهم ودرّبهم وفتح أمامهم المجالات التي يقدرون عليها, تماماً كأبنائه وبناته, ثم أفاض من خيره على المحتاجين من الناس وأولئك الموهوبين في دنيا الأعمال, من الأصدقاء والمعارف, وحتى الغرباء, وكان في نهجه هذا كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبه والله يضاعف لمن يشاء. وقد قرأت له يوماً مقابلة في صحيفة سعودية حيث سُئِلَ عن تقديره لأمواله وممتلكاته, فقال: " لا أدري على وجه الدقة ولكنها بمئات الملايين".

ولأنه كان نموذجاً للصدق والوفاء وشرف الكلمة في كل معاملاته التي كان يعامل فيها الله قبل الناس, فقد رزقه الله من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب, وأن شاء الله فإن صالح أعماله ستبقى في عقبه, طالما أدركوا سرّ نجاحه وساروا على منواله .

لقد خاض الشيخ عمر ميادين من الأعمال, لا يمكن حصرها, ووفقه الله في معظمها: عمل مع شركات عالمية كبرى وكيلاً

ومساهمياً, بدءاً من عدن التي بدأ تجارته فيها في الأقمشة والسجاد, ثم انتقل مع رفيق عمره الشيخ علي عبد الله العيسائي إلى وكالات السيارات وصناعة المشروبات الغازية, ومن عدن أسّس مركز أعماله في جدّة, وقد أشار إلى ذلك في المقابلة التي أشرت إليها آنفاً, حيث ذكر أنه جلب رأسمال التأسيس من عدن. ولكن الصعود الكبير كان في المملكة العربية السعودية, حيث أموال الناس مصانة ومصالحهم محفوظة, وفقاً للشريعة الإسلامية الغراء, ولا بد من الإفصاح عن هذه السياسة الحكيمة التي راكمت رؤوس الأموال, وشجّعت الإبداع الفردي المسنول, وأتاحت الفرصة لنقل الخبرات والتبادل المفيد مع العالم, حتى أصبح الاقتصاد السعودي هو الأكبر في الشرق الأوسط, مستفيداً من عوائد النفط والنمو الهائل للصناعات البتر وكيماوية, في الوقت الذي تعثرت فيه بلدان عديدة أخرى, كانت مزدهرة فاضمحت, نتيجة لتغير القوانين المستمر ومعالجة الطارئ بتحطيم الدائم, وعلى كل حال فهذا المقام ليس مقام التفصيل في السياسات الاقتصادية, وإنما الشيء بالشيء يُذكر, والكلام يأخذ بعضه برقاب بعض كما يقول العرب.

لقد عاش " أبو سعيد " عيشة رضية هنيئة, وكان مجلسه في منزله العامر مثابة للناس, وفي مقدمتهم العلماء والأدباء وذو و الحاجات, وهو يستقبل الجميع بالابتسام العذبة والتعليق الذكي والكرم النبيل, كأنما هو من عناء الشاعر بقوله:

تراه إذا ما جنته مهتهلاً

كأنك تعطيه الذي أنت سائله

ومصداقاً للمثل القائل " وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمه" فإنه لا بد هنا من الإشادة بـ " أم سعيد" سيّدة الخير, التي كانت عوناً لزوجها في تربية الأبناء أولاً: سعيد وعبد الله ومحمد وبناته

أم أحمد وأم وليد وأم محمد، وفي استقبال ذوات الحاجات من الأهل والعشيرة والزائرين القادمين إلى بيت الله، مروراً بجدة في الذهاب والإياب، والقيام بواجبهم وقضاء حوائجهم بأريحية المؤمنين الكرام.

ليشمل الله برحمته الواسعة فقيدنا الكبير، وليسكنه فسيح جناته، ويمكن لأبنائه وأحفاده في العلم النافع والعمل الصالح، ليكونوا خير خلف لخير سلف.

وأخيراً أقول أن الموت حق وأن القلب ليخضع، والعين لتدمع، ولا نقول إلا ما يرضي الله:

كل أبن أنتي وان طاليت منيته

يوماً على آلة حدباء محمول

نستودعك الله يا أبا سعيد، لقد كنت في حياتك نوراً وهاجاً وأنت كذلك في غيابك.

نجوم عدن ... عمر قاسم العيسائي (1)

فضل النقيب

لم يكن محل بيع الجملة للشيخ عمر قاسم العيسائي يبعد كثيراً عن محل الشيخ علي عبدالله العيسائي في حافة الشيخ عبدالله بكريتير، عدن، لقد كان الشيخان والمحلان أقرب لبعضهما من حبل الوريد،

وأصبحت في فترات متلاحقة شريكين متنافسين لا يشق لهما غبار في منسوجات الشام العالية الجودة وفي الشركة العربية للسيارات و " كندا دراي"، ولا يزالان إلى اليوم بعد مرور نصف قرن عالقين في ذلك الهوى القديم وإن كان كل منهما قد عبر بإمبراطوريته نصف تخوم العالم على الأقل.

للشيخ عمر شخصية "كاريزمية" شديدة الجاذبية وأسرة السحر، وهو لا يحسم الأمور الخلافية أبداً بالضربة القاضية وإنما بالنقاط، كما أنه عاشق للسخرية المرححة يستعين بها على جفاف الناس ويعبر عما بين السطور، فما كل كلام يقال، وهذا الدهاء المرشوش بكرم أصيل يصدر عن نفس نورانية.

يبدو لي أن نهاية الحرب العالمية الثانية كانت منطلق أعمال الشيخ عمر بصورة أو بأخرى بقرب مطلع الخمسينات أو قبلها بقليل لأنني حين وعيته في منتصفها كان رجل أعمال يشار إليه بالبنان بمقاييس ذلك الوقت وقد أخذ يوزع أعماله بين عدن وجدة ذهاباً وإياباً، وقد افتتح معرضه الأول للسجاد في شارع العسقلاني أمام مقهى فارح الشهير وكان آية في جاذبية العرض والتلطف إلى المشتري تعبيراً عن الذوق الحديث الذي كانت المخازن القديمة تجافيه.

ذات يوم سألتني والدي الذي كان يعمل (مُبرِّدِن) أي وكيل مغتربين، كم لدينا في حساب البنك؟ قلت له أربعمائة ألف وبعض شلنات، قال حول المبلغ كله لعمر ولا تبق سوى ما يسمح بعدم غلق الحساب. سألته عن الموضوع فقال: لا أدري.. من يسأل الجبل يا ابني؟.. ولم تمر سوى ثلاث أو أربع أيام حتى كان المبلغ في حسابنا وقد تعجبت من ذلك أكثر مما تعجبت في البداية: الوعد كالرعد والإيفاء كالمطر.

روى لي والدي أن الشيخ عمر قبل أن يقف على قدميه كان يضع مدخراته لدى الشيخ صالح حسين بن شيهون الذي كان مستودع الأمانات لأهل يافع ومسكنه في حارة الاتحاد بكريتير إذا لم تخني الذاكرة.. وكان رجلاً جاداً بالغ الصرامة تعرفت إليه برهبة في آخر أيامه حيث كان والدي يتردد عليه للسلام وشرب فنجان قهوة بين حين وآخر محبة وتقديراً. وقد طلب منه الشيخ عمر أمانة مودعة، فوهم

الشيخ صالح ظاناً أنه قد أخذها وكان رده كعادته قاطعاً مانعاً، فتبسم الشيخ عمر الذي كان في عنفوان الشباب وأجابه: لعلمي أخذتها ونسيت فسامحني، ثم خرج.. و "لعب الفار في عب الشيخ صالح" فقام بجرد كل الأمانات وتدقيقها حتى وجد أمانة الشيخ عمر، فاستدعاه واعتذر له وسلمه ما أودعه ، عاتباً عليه أنه لم يلح في طلب حقه لتبنيه ، فقال له : أنا كنت متأكداً مئة في المئة أنك ستجدها وستستدعيني فمن يعدل إذا لم تعدل أنت يا بن شيهون؟.. جبر خاطر الشيخ واسترد حقه، الم أقل إنه لا يحب الفوز بالضربة القاضية وإنما بالنقاط.

العم عمر سيرة ممدودة وسريرة محمودة، وإذا كان كثيرون قد تسابقوا إلى قمم الأعمال ووصلوا إليها، فإنه بين قليلين ظلوا على القمة محافظين على توازنهم وعلاقاتهم وحسن تسيير أعمالهم.. دون أن يقولوا هذا من عند أنفسنا [ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله، لا قوة إلا بالله]ω.

لا أدري لماذا حلمت يقظان أن الشيخ عمر سيذكر عدن المدينة الفاتنة التي لم يعد إليها منذ أربعين عاماً على الأقل، والتي كانت محط أحلام شبابه، وسيذكر كذلك مسقط رأسه في العيسائي - يافع - حيث وجدتُ رفيق عمره الشيخ علي عبدالله العيسائي يحاول أن يشاهد فلم طفولته المرسوم على المنحدرات الصخرية والسحب العابرة.

إننا لمنتظرون.. وكل عام وأنتم بخير.

صحيفة "الأيام" العدد 4619، تاريخ 2005/10/23م

نجوم عدن.. عمر قاسم العيسائي (2)

فضل النقيب

كان الشيخ عمر قاسم العيسائي قد اكتشف مبكراً الحكمة الذهبية في تنويع الاستثمارات كما هو الحال مع أصحاب محافظ الأسهم المحنكين في أيامنا هذه، الذين لا يضعون بيضهم في سلة واحدة، إذا جار عليها السوق أو رماها الزمن تحطموا معها وأصبحوا أثراً بعد عين، وقد كان هذا حال كثيرين لم يتطلعوا إلى أبعد من دكانهم أو سلعتهم الواحدة، أو حتى مكان إقامتهم لا يريمون عنه ولا يحددون.

ففي النصف الثاني من خمسينات القرن الماضي كان الشيخ قد عزز مركز بيع الجملة الرئيسي في شارع الشيخ عبد الله بكرتير، ثم فتح معرض شارع العسقلاني، وبنى واحدة من أجمل عمارات الشارع الرئيسي بالمعلا، أجمل شوارع جزيرة العرب آنذاك، واتخذ من الدور الأرضي الفسيح معرضاً لبيع الزجاج الذي كان يستورده من أوروبا لتغطية السوق اليمنية ودول الجوار إلى جانب عرض السجاد الحديث، وفي وقت لاحق الأجهزة الكهربائية، وكان مصنع " كندا دراي " في جولة " كالتكس " قد اكتسح سوق المشروبات الغازية ويعمل بكامل طاقته، فيما الشركة العربية للسيارات قريباً من " كندا دراي " توسع حصتها في السوق النامية، هذا بجانب الشراكة في المنسوجات الشامية التي كانت تتفوق على اليابانية في الجودة

والاستجابة لحاجات السوق, قبل أن تصاب بالسكتة القلبية بقرارات التأميم عام 1972م .

وفي وسط هذا النجاح الذي يغري أي رجل أعمال محدود المواهب بعدم النظر إلى ما هو أبعد, لم تغب عن عين الشيخ السوق السعودية الواعدة, التي حمل إليها بعض أمواله, لبدأ من هناك قصة نجاح أكبر وأوسع مدى, وقد كانت هذه الخطوة ملهمة, كأنما يقرأ صاحبها في الغيب, فقد انطفأ كل شيء في عدن فجأة عقب الاستقلال وصدور قرارات التأميم الجائرة, التي حولت المدينة الدولية اللامعة إلى قرية تنام مثل الدجاج مع غروب الشمس, كما حولت النجاح إلى تهمة, لأن الزمن كان زمن الفاشلين " زمانك زمانك .. يعرفك بالناس .. وبالناس تعرف زمانك .." وبعيد النظر هذا والإرادة الفولاذية والتوفيق من المولى, جلّ وعلا, تجاوز الشيخ خسارات عدن العبثية وتحملها كأنها قرصة بظهر جمل, فما عند الناس ينفد وما عند الله ليس له من نفاذ, بينما قصمت تلك الأحداث الاقتصادية الجسام ظهور الكثيرين فأصبحوا من جماعة " عزيز قوم ذل "

في مثل هذا الشهر الكريم, شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن, هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان, كانت عدن تكتسي حلل النور وتزدان بالتلاوات يرتلها الأبيون إلى ظلال الله, الطامعون في رحمته وكرمه, وكانت الأسواق تغص حتى لا تكاد تجد موطناً لقدم إلا بصعوبة, والأرزاق تتطاير من يد إلى فم كأنك في عالم الطيور, وموائد الخير تنتزل على الفقراء القادمين من التهامم والجبال كأنما هي موائد المن والسلوى, وكنت ألاحظ المحتاجين يذهبون زرافات ووحداً من مسجد الشيخ عبد الله الملقب بـ " منطق البقرة " فهو من أولياء الله الصالحين, إلى مستقر الشيخ عمر , على بُعد أمتار قليلة ينتظرون " حق الله ", وكان حقاً مضموناً مصاناً لا سؤال

فيه ولا جواب, وقد أشار إلي أحد الدراويش المنتظرين من أصحاب " الودع ", وكان متمرساً على الأرض خلف سيارة ليقرأ لي حظي, وقد استنطق الودع وأنا مغمور الفاه من الدهشة بسني الاثني عشر, فتنبأ لي بمال قارون وثلاث سيارات " أو بل " وما شاء له خياله الخصب ليستل ما في جيبتي, وقد كان, فلم يُسل لعابه فأشار إلى حاجته إلى ملابس فأتيته بنصف ما لدي, فيما أنا أظير بين السحاب وأنظر إلى معروضات مخازن الشيخ عمر تحت أضواء النيون الباهرة, فأحدث نفسي كأنني أخاطبه: سوف ترى..سوف ترى..أيش عندك يا مسكين. وقد عشت سنوات على هذا الحلم الجميل, ثم كان ثوابي قبض الريح وباطل الأباطيل..كذب المنجمون ولو صدقوا..نعم صدقوا " بالفاء " لأنهم لا يصدقون أبداً.

رعى الله ليالي عدن المباركة وتلك الوجوه لعلمائها ووجهاتها ورجال أعمالها المرشوشة بالضوء .

" لم يكن وصلك إلا حلماً..في الكرى أو خلسة المختلس "

صحيفة "الأيام" العدد4625,تاريخ 2005/10/30م

إليه.. إلى الغالي (أبونا) عمر

بقلم : سالم صالح محمد
عضو مجلس الرئاسة اليمني السابق
مستشار رئيس الجمهورية

علمتنا أن لا نحزن عند فقدان من نحب لأن لكل شيء أجل محتوم, علمتنا بأن الصبر بلسم الحزن والتسليم بالقضاء والقدر وأن التواضع الحقيقي هو أبو كل الفضائل ومحبة الناس تاج السعادة لأنه بحسن المعاشرة تدوم المحبة بين الناس بغض النظر عن طبقاتهم أو فئاتهم أو قومياتهم.

يا بُو سعيد - أيها العم الجليل والصديق الوفي, أعذرنا إن خالفنا نصيحتك الأولى التي قلتها لنا بعدم الحزن والبكاء في مجلس صديق عمرك وأخيك العم عبد الحي السيلاني عند ممات زوجته الغالية "أم علي", وأيضاً عند سماعك وفاة صديق عمرك أخيك الشيخ محسن عبدالرب الحريبي ورحيل أخيك وصديق العمر الشيخ محمد عبدالحافظ بن شيهون, وكلما تتابعت الأحزان في موت أخ أو عزيز كانت كلماتك تؤكد ما كنت قد حفظته من كتاب الله وآياته الكريمة [قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله لكل أمة أجل, إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون] [1].

هذه المرة بكيناك يا أبانا عمر, وبكتك الرجال قبل النساء, وبكوا العم عمر الأب والخال والأخ والصديق, بكوا أباً سعيد الذي عاش كبيراً ومات كبيراً, بكاك الرجال والنساء التكالي والأرامل والأطفال اليتامى, من جبال يافع مروراً بوديان وجبال

تعز وتهامة حتى جبال الطائف, ومن جدة حتى شواطئ عدن والمكلا ومن الرياض حتى صنعاء وبيروت والقاهرة ولندن وطوكيو ونيويورك..

" يا بُو سعيد الجيّد عَزَّك وأكرمك " ... كنت الجيّد حقاً, كما قال الشاعر الخالدي, فقد كنت حاضراً في كل مكان لم تغب أبداً ولن تغيب لأن بساتين أعمالك الخيرة ستظل تذكر بك وتتوب عنك وتتحدث باسمك وتستفيد من خيراتها أجيالٌ مَنْ عرفت وَمَنْ لا تعرف من القادمين من ظهر الغيب, وحتى عابري الطريق الذين يرفعون أيديهم إلى الله ترحماً عليك ودعاءً لك, وكنت العز وكنت الكرم, عرفت الناس قاصيهم ودانيهم, وتلمذ على يديك الكثير من الكوادر التي لمع اسمها في عالم المال والأعمال والآلاف من الناس ممن تم توظيفهم, وكفلت خلال نصف قرن مئات الآلاف وامتدت عطياك وحسناتك إلى الفقراء واستفاد من جاهك الأغنياء, وإلى من هم في مصاف " عزيز قوم ذل", التي قدمتها وبدون مَنْ أو أذى باعتبار الإنسان أخو الإنسان مهما كان موقعه أو موقعه.

إن ماتم العزاء التي شهدتها الجبال والمدن والتي تحولت إلى مهرجانات توديع للشيخ عمر العملاق والطود الشامخ, هي خير دليل على المعزة والمكانة التي تبوأتها أيها الشيخ الجليل في نفوس وعقول الناس, لهذا تراني أكتب شخصياً عنك !! وأنا أعجز من أن أفيك حقك بما يليق, لأنك كنت لي أباً وأخاً وصديقاً ورفيقاً في أصعب مراحل الحياة, وخلال السنوات الطويلة التي تعرفنا فيها عليك وعشناها معا, كنت السباق دائماً إلى التواصل وإلى الحديث والاستفسار عن حالنا وحال أهلنا وبلداننا, كنت السباق إلى النصح مردداً الآية الكريمة [وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم] [2]. وكنت الجيّد حقاً فينا لأنك السباق إلى تقديم الجميل وإلى

زرع المحبة وزرع الثقة، وفوق هذا وذاك كنت تقدم العون والمساعدة والعطاء للمحتاجين والمظلومين والمكرومين، ولمن تعرضوا لنوائب الزمن، لتشعرهم بأن الدنيا لا تزال بخير وأن الخيّر من أمثالك ما زالوا موجودين على الأرض، وأن الخير ينتصر على الشر ولو بعد حين.

على مدى هذه السنوات لم يمر يوم واحد دون أن نتحدث أو نتصل ببعضنا، وكانت الاهتمامات متعددة لديكم يا "بُو سعيد" من السؤال عن المطر في يافع إلى التأكد من دراسة الطلاب إلى تحياتك التي كنت تحرص على إبلاغها إلى الرئيس والمرؤوس، إلى الصديق والخصم بما في ذلك النصائح الموجهة لوجه الله.

كنت الحاضر الدائم معنا في كافة المناسبات في أفراننا وأحزاننا، وكنت الطبيب مداوي للجميع حين يتطلب الأمر المساعدة !! . كان منزلك العامر في جدة وبيروت ولندن يشهد الموجات البشرية من مختلف أنحاء الوطن العربي الكبير، من السعودية واليمن ومصر ولبنان وسورية والإمارات وعمان والمغرب والسودان والصومال وغيرها.

وسبحان الله الذي أعطاك هذه المزايا والقدرات والذاكرة العظيمة والتواضع الجم. سكنت قلوبنا وأثرت فينا وغيّرت في طباعنا وسلوكنا وكنا نجد الرأي الصائب والحكمة الصادقة والفعل الحاسم. لقد أرويتنا وأشبعتنا بكرمك وحنانك الأبوي كمطر دائم الهطول على جبال العيَاسَى وعُمُق وعلى هضاب يافع ووديانها والطائف وجبل لبنان.. وكنهر لا ينضب.

كم من المحطات وقفنا فيها معاً خلال العشرين سنة الماضية، وكم تبادلنا من أحاديث، وكم كانت لنا من لقاءات ما بين جدة ولندن، وحين لا نلتقي كان التواصل من عدن وصنعاء ويافع

والإمارات، فهل يصلح لهذا كتاب؟! أم نجعل منها وصايا نحفظها للأبناء والأحفاد؟! .

فأنت وان كنت في موقع رجل الأعمال الكبير المتميز الناجح، لكنك كنت بيننا المرشد الكبير والقائد المجرب، الذي عايش خمسة ملوك عظام في المملكة بلد الرحمن وأرض العطاء الدائم، وعاشت العديد من رؤساء ووزراء اليمن ومصر ولبنان على مدى أكثر من نصف قرن.

يا عم عمر لا أجد شخصية بهذا التنوع وبهذه السجايا تمارس القيادة من خارج الموقع الوظيفي ولكن من موقع المجرب صاحب النظرة الثاقبة المدركة والمستوعبة للواقع والأحوال، ولا غرابة في ذلك فأنت سليل بنىة الحضارات وصنّاع النجاح ممن أوصلوا ونشروا رسالة الإسلام العظيمة إلى كل بقاع العالم.

بعد كل محادثة أو لقاء، كنت أعاود ما حدثتني عنه مع نفسي ومع أعز أصدقائي، فأجد الجديد والمفيد والممتع والمنير، وقبل هذا وذاك حرصكم الشديد والتأكد من إيصال الصّدقات للمحتاجين، وكنت تطلب البحث عنهم وتزويدك بالمعلومات عن أحوالهم قبل أن تخطر الفكرة على بال أحد منا، ما أعظمك أيها الخالد في ذاكرتنا أبداً... لقد عظمت في نفوس الناس وكبرت في أعينهم يا شيخ عمر بأعمالك الجليلة، وشهدت لك الناس بهذا التميز وبهذا التآلق.

في هذه اللحظات أشعر أن قلبي عاجز عن كتابة بعض الحقائق والأمور المخزونة في الذاكرة والوجدان، وهي كثيرة ومتنوعة سأكتبها حين يحين الوقت لذلك، وبعد أن أصحو من الصدمة، إذ أنني لم أزل غير مُصدق بأنني لن أراك مُجدداً.

مَنْ لنا بعدك يا عمر ؟ كلمة قالها المسلمون عندما مات الخليفة عمر رضي الله عنه" من لنا بعدك يا عمر؟" .. أما نحن فلن نكررها فعزأونا المقولة التي تقول " من خلف ما مات ", وسعيد وعبد الله ومحمد والأحفاد ورجالك من آل العيسائي سيعوضون فقدانك الجسدي, وسيكونون بإذن الله " خير خلف لخير سلف", وسيواصلون دورك الإنساني وحنانك ودعمك المعهود للأيتام والأرامل والمظلومين والفقراء والمحتاجين... وكل من شملتهم برعايتك الكريمة.

رحمك الله وأدخلك فسيح جناته.

عليكم جميل الصبر وهو عزيمة

على العبد أما الخطب يجسم يجسم

تتالوا عظيم الأجر منه وإنما

بحسب مقام الصابر الأجر يعظم

المكالم

سالم صالح محمد

دبي - 26 يناير 2008م

العم عُمَرُ: وصور من الذاكرة

علي صالح محمد

حين يغيب الموت إنساناً عزيزاً على أنفسنا نحزن بقوة ونبكيه بحرقة, وتكون أحزاننا بحجم المساحة التي احتلتها هذا العزيز في قلوبنا وعقولنا, ولكن الأحزان تتضاعف أكثر حين يكون من فقدناه كبيراً في وجداننا وذاكرتنا بفعل أعماله المتميزة, وبحكم تميز أفعاله وعتاءاته الخيرة, ليصبح في الواقع رقماً كبيراً ورجلاً مهماً للكثير من الناس, ومن هؤلاء الأعمام كان فقيدنا الكبير الشيخ عمر قاسم العيسائي, الذي وافته المنية وانتقل إلى جوار ربه بعد عمر حافل من العمل الدؤوب والنجاح الباهر والعتاء الخير.

حين بلغني نبأ وفاته لم أبكه, كما فعل غيري, بل أصابني الحزن الأبدي والفجعة الدائمة, لأنني في واقع الأمر سبق وان بكيتة وهو لم يزل حياً, وكان حينها على فراش المرض في لندن, ولم يزل في وعيه المعهود وإدراكه المشهود, وذلك حين تحدثت معه وأخي سالم ونحن عائدان في الطريق من أبو ظبي إلى دبي قبل ستة أشهر, ويومها ظل يسألني كعادته عن الحال وعن أخبار البلاد وحال الناس متمنياً الخير للجميع.. وبعد الدعاء له بالشفاء ودوام الصحة وبعد انتهاء المكالمة, إذا بي أجهش بالبكاء وبحرقة شديدة غير معهودة وأدخل في

نوبة من البكاء المر، الأمر الذي أفزع الأخ سالم، الجالس بقربي، خصوصاً وإنني أقود السيارة في الطريق السريع، فقلت موضعاً: أشعر يا أخي أن هذا هو الحديث الأخير مع العم عمر، وأحس بأنني أودعه، وأن هذا آخر حديث لي معه، وأنا أبكيه لأنه ارتبط في مخيلتي كأب عزيز أكن له كل المحبة والاحترام منذ أن عرفته، لأنه الإنسان الكبير الذي احتضن الجميع بقوة منذ تعرفنا عليه، ونثر حنانه الأبوي بلطف لا مثيل له، وكيف لنا أن ننساه وهو الذي رافقتنا بشخصه العزيز في لندن عام 1992م هو وولده العزيز محمد الذي اتصف يومها بكامل الخلق والنبيل في المعاملة ولم يزل، لينتقل بنا من محل إلى آخر كأب عزيز يريد إرضاء أولاده بكسوتهم ليلة العيد ليحتفلوا سعداء ومبتهجين وهو ينتقي لهم أفخر الملابس وأغلاها، وهو ما يضاعف الشعور بالامتنان وبالمودة من يومها وحتى هذه اللحظة بهذا الإنسان الخالد أبداً في نفوسنا وعقولنا.

وسيظل هذا التذكار الجميل الغالي لإنسان كبير وكريم كالعم عمر الأب العزيز الذي إن غاب عنا جسداً لكنه لم يغيب عن أرواحنا ولن يبرح الذاكرة المليئة بالصور الجميلة التي لا تمحي، لأنه من الصنف الأسطوري النادر الذي صنع ملحمة وإمبراطوريته المالية العملاقة من العدم، حيث خرج من بلاد العيساي في يافع هارباً من سطوة جدته المحبة والحريصة عليه من مسابرة الأشقياء، ولما كان حلمه الكبير إتباع خطى أقرانه في الهجرة لتحقيق الذات، فكان أن أفلت في لحظة غفلة من جدته الصارمة ليلحق بركب زملاءه ليصل عدن بعد أيام من الجوع والعطش والإنهاك والتعب المضني.

وفي عدن بدأ يخطو خطواته الأولى وينطلق في صنع إمبراطوريته المالية الكبيرة حيث استطاع تكوين أول أعماله، وكان ذلك في الأربعينات من القرن السابق، مع رفيق عمره

الشيخ علي عبدالله العيسائي لينتقل إلى جدة في بداية الخمسينات وبالإعتماد على فرائسته وحدة ذكائه وقدراته العالية في صنع العلاقات المتعددة مع كل الأطياف كرجل متميز من الطراز الرفيع خلقاً وذكاءً وبداهةً، أصبح اسمه عبر السنين يشار له بالبنان في المملكة العربية السعودية ولبنان ومصر والمملكة المتحدة وأمريكا وفرنسا والمغرب واليمن واليابان، حد القول أنه إذا رفعت حجراً ستجد العم عمر العيسائي تحته، في إشارة واضحة إلى حضوره الاجتماعي الكبير والتجاري القوي، ولا غرابة في ذلك، إذا علمنا أن هذا الإنسان العصامي امتلك أكثر من ستين شركة ومؤسسة.

حين حط بنا الرحال في جدة إثر الحرب المشنومة عام 1994م كان - بالنسبة لنا ولكل من وطأت قدماه أرض المملكة، أرض الرحمن المباركة - كان الراعي الأساس والكفيل الأهم للآلاف من النازحين ممن كابدوا محن الفراق لديارهم وأهلهم، وللآلاف من عائلات المقيمين بحكم مكانته الخاصة لدى سلطات المملكة.

في داره العامرة والمفتوحة يومياً للأهل وللأصدقاء وللضيوف من كل مكان، كان يستقبل بترحاب شديد كل أصدقائه وكل من يزوره لطلب أو حاجة مرجوة، ولم أره يوماً متزماً، بل سعيداً يمرح مع الجميع ويداعب بحنان كل الموجودين من جلسائه المداومين، كالعم عبد الحي السيلاني والمرحوم محمد عبدالحافظ بن شيهون، الذي سبقه إلى دار الآخرة بأسبوع، والعم حسين عبدالله العيسائي، والسيد عمر وسالم الحامد، والشيخ صالح أحمد العيسائي، وعبدالرحمن هائل سعيد، وعيدروس العيسائي، وعبدالله بن عبد الله العيسائي، الذين يأتون لقضاء الوقت معه، وبعد أن يتناولوا وجبة العشاء يتجه كل منهم

إلى داره, وهكذا كان الحال يومياً, وحتى حين ينتقل إلى لندن كان حضوره الكريم يزين كل الحضور.

لم تزل كلماته تتردد أصدائها في جنبات الذاكرة وهو يقول معلقاً على حال النزوح وما آل إليه الحال بعد الحرب, وهو يرى المهانة على وجوه الناس وهم يعانون " يا أولادي الموت أرحم للإنسان بدلاً من أن يرى الناس وهم يعانون " مردداً على مسامعنا الآية الكريمة [وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم] , لتخفيف وقع المعاناة والتمسك بالصبر لأنه خير علاج لمن فقد حقاً أو تعرض لأذى أو داهمته مصيبة.

لا أنسى حالة الإنصات الشديد واستمتاعه بسماع الأخبار عن الأهل والوطن حين أزوره قادماً من اليمن فكان يبادرنى بالسؤال عن حال الناس والأهل, ولطالما ردّد في كل لقاء حين أحدثه عن يافع استغرابه من العيش فيها بالقول: " ماذا معاكم فوق هذه الجبال يا ابني وما فيها غير الحجارة ولا يمكنها أن تغذيك ولو ليوم واحد", لكنه في الوقت ذاته كان ينصت بشغف وولع إلى الحديث, وبالذات حين يشمل ذكراً للمواقع, فإذا به فجأة وكتعبير عن حالة الحنين الخفي لتلك المواقع التي تركها أيام الصبا, تجده يتجه بتلقائية المحب إلى الصورة الكبيرة التي تزين مكتبه الجميل ليشير بأصبعه إلى المواقع الكثيرة, مستذكراً بقوة شديدة أسماءها وأسماء الناس الذين التقاهم في رحلاته يومها, ولطالما تكررت أحاديثنا عن ذلك لاكتشف أن أجمل الأحاديث لديه كانت تلك التي يعود فيها إلى أيام الطفولة والصبا, وصور المعاناة التي دفعته نحو الهجرة من أجل أن يعود ببندقية يظهر بها أمام الرجال, معلناً أنه أصبح رجلاً يستحق الاعتراف به كمقاتل في عُرف القبيلة, إلا أن عزمه وحظوظه حققت مدى أبعد كثيراً من أحلامه البسيطة تفوق الخيال.

كان في قرارة نفسه يحمل حنيناً خفياً وأشواقاً لا تحصى للمنطقة, وكنا دائماً نردد على مسامعه طلبنا بأن يقوم بزيارة البلاد, ولكم سعينا إلى إقناعه بذلك فكان يقول " مادام في العمر بقية سنزورها باذن الله ", وشاء الله أن لا يتحقق الوعد ولا الحلم, وهذه إرادته عز وجل.

في واحدة من المرات كنا وأخي سالم نمارس رياضة المشي على كورنيش جدة المليء بنسمات هوائه المنعشة القادمة من أعماق البحر الأحمر, وإذا بنا من غير سابق ميعاد نلتقي بالعم عمر وهو الحريص على ممارسة رياضة المشي بين الحين والآخر بلا مرافقين سوى سائقه المنتظر بسيارته العادية, كنا نمشي ثلاثتنا وفجأة استوقفنا رجل صومالي كبير السن وقور الهيئة والمحيا, وبعد التحية والسلام كمن يعرف الشيخ عمر, سأل بكل أدب هل ممكن يا شيخ تعطيني خمسة ريال؟, فرد عليه الشيخ ولكن قبل أن ألبى طلبك هل تعرفني؟, قال له: لا, لا أعرفك. وحينها دس الشيخ عمر يده اليمنى في جيب قميصه, فلم يجد فيها شيئاً, فغمز لسالم ليخرج خمسة دراهم فقط فأعطاها للرجل الذي أخذها ممتناً وشاكراً, وبعد مغادرته ضحك العم عمر ضحكته المتهدجة المعهودة, وهو يقول: " أنظروا يا أولادي هذا رزق هذا الرجل الذي لم يعرف أنه صادف الشيخ عمر العيسائي فو الله لو أنه طلب أكثر من ذلك لمنحته طلبه, لكن هذا رزقه وهو ما سخره الله له ".

التقينا به كثيراً في جدة, في منزله العامر وفي الاستراحة الخاصة الواقعة على كورنيش جدة الجميل وفي شقته الواسعة في لندن ولم أر فيه في كل لقاء سوى البساطة والعظمة معاً, بسيطاً في كل شيء وعميقاً في كل شيء, ليصبح مدرسة كبيرة بدءاً من التعامل مع البضاعة البسيطة وانتهاءً بعلاقته بالملوك والرؤساء وكبار القوم من المشتغلين في التجارة أو السياسة, ولم

يكن يستثنى من ذلك البسطاء من البشر بغض النظر عن انتماءاتهم الجغرافية أو مواطنهم على اختلافها, إذ لم يكن يميز المصري عن السوداني عن المغربي عن اليمني عن الياباني عن اللبناني فكانوا جميعهم حوله كخلية نحل تربطهم عرى المحبة والاحترام ومعاني التقدير الإنسانية.

من ذلك ما رأيته بنفسى وسجلته عدسة " كاميرتي " وهو يستضيف الطلاب الدارسين على نفقته في لندن, وكان ذلك في أحد المطاعم العربية فكان من ضمن ما قاله بالمختصر المفيد: " يا أولادي تعلموا ففي العلم منجاة وخيراً كبيراً لكم ولأولادكم من بعدكم, وإذا كان أحدنا قد نجح بلا علم فما ذلك إلا صدفة, لهذا لا تخبوا ظننا فيكم, تعلموا واجتهدوا لتحقيقوا النجاح في حياتكم".

ومن واقع تشجيعه الكبير للعلم والتعليم كان موقفه الداعم لتأسيس كلية التربية في يافع ليستمر وجودها مرتبطاً بقوة باسمه الكبير, ولم يقتصر الأمر على ذلك, فإلى جانب عطاءاته الكبيرة أشهد أنه في الأعوام الأخيرة كلف الأخ سالم صالح محمد لمتابعة إنشاء سد كبير لحصر المياه في وادي "بنا" لتعزيز مشروع المياه القائم بعد أن تناهى إلى سمعه أن هناك صعوبات يواجهها المشروع, وبعد جهود كبيرة بذلت من جانبنا, وبسبب من تلك الجهات الاختصاص بتقديم الدراسات المطلوبة ومرضه الذي داهمه وأقعده طريح الفراش لم يكتب للمشروع النجاح الذي كان يريد أن يقوم به من أجل ضمان مياه الشرب للمنطقة كلها.

وقبل أيام من وفاته وحين كنت مع الأخ العزيز الشاعر فضل النقيب في برلين لإجراء عملية القلب المفتوح له, اتصلت بالأخ العزيز الشيخ محمد عمر للسؤال والاطمئنان على صحة الوالد, راجين منه أن يطبع قبلتين منا على جبين العم عمر, طالبين من

العلي التقدير أن يأخذ بيد الوالد بحق آلاف الناس الذين يدعون له وبحق ما أسلفت يده من خير, والمؤمن الحقيقي دائماً مبتلي وممتحن.

كانت هذه الكلمات هي ما نمتلكه للتعبير عن مشاعر المحبة والامتنان لهذه القامة السامقة, وكانت آخر الكلمات, إذ لم يمر يومان حتى وسمعنا بالخبر المخزن بوفاة العم عمر... وحين تزورنا الفجعة ويسود الحزن نصمت لنترك للدموع حريتها وفرصتها في التعبير عن ذاتها.

رحم الله العم عمر رحمة الأبرار والصالحين, وعزاؤنا أنه خلف أولاداً كراماً, وهم سعيد وعبد الله ومحمد, ومن خلف ما مات.

يا سيد القوم

شعر: فضل النقيب

(مهداة إلى الوالد الشيخ عمر قاسم العيسائي مع خالص المحبة)

سَحَابُ الْخَيْرِ مِنْ كَفَيْكَ تَنْهَمِرُ
جَزَاكَ رَبُّكَ كُلَّ الْخَيْرِ يَا عَمْرُ
يَا أَسْمَحَ النَّاسِ وَجَهًا فِي بَشَائِشَتِهِ
وَأَطْفَفَ النَّاسَ غُذْرًا حِينَ تَعْتَذِرُ
وَأَجْذَبَ النَّاسَ لِلْأَصْحَابِ تَأْلُفُهُمْ
وَيَأْلُفُونَكَ فِي يُسْرِ وَقَدْ أُسِرُوا
يَا سَيِّدَ الْقَوْمِ: مَنْ شَابُوا وَمَنْ وُلِدُوا
وَمَنْ تَفَقَّهُوا وَمَنْ غَابُوا وَمَنْ حَضَرُوا
طَوَّقْتَنِي بِجَمِيلٍ كَيْفَ أَشْكُرُهُ
إِنِّي إِلَى الشُّعْرِ مِنْ لُغَمَائِكَ أَعْتَذِرُ
فَأَنْتَ تَمُنِّحُ مِنْ قَلْبٍ مَشْتَاعِرُهُ
تَفِيضُ بِالْحُبِّ وَالْأَخْلَاقِ تَزْدَهْرُ
وَالشُّعْرُ يَهْجِسُ لَا يَنْدِرِي قَصَائِدُهُ
هَلْ تَبْلُغُ الرُّوحَ أَمْ تَهْوِي فَتَنْكَسِرُ
شَتَانِ بَيْنَ وَتِيْقٍ فِي تَوَجُّهِهِ
وَأَخْرَجَ لِقُبُولِ الْقَوْلِ يَنْتَظِرُ
عَلِمْتَنَا أَنْ خَيْرَ الْفَضْلِ قَاطِبُهُ
مَا لَيْسَ يُطْلَبُ أَوْ يَسْرِي بِهِ خَبْرُ
وَأَنَّ لِلَّهِ أَشْخَاصًا عَلَى يَدِهِمْ

تُفَضِّي حَوَائِجَ مَنْ عَقَّوْا وَمَنْ صَبَرُوا
وَتِلْكَ أَطْبَاقُ خَلْقٍ قَلَّ مِنْهُمْ
سَارَتْ بِذِكْرِهِمُ الرُّكْبَانُ وَالسَّيْرُ
كَأَنَّهُمْ شَجَرٌ طَابَتْ مَنَابِتُهَا
فَطَابَ مَنْظَرُهَا وَالزَّمْرُ وَالنَّمْرُ
أَبَا سَعِيدٍ وَقَدْ كَانَتْ مَنَابِتِكُمْ
تِلْكَ الْجِبَالُ الَّتِي بِالرَّيْحِ تَأْتِرُ
أَرْضُ "الْعِيَّاسِي" حَيْثُ النَّسْرُ مُنْكَسِرُ
وَالْخَصْنَمُ مُنْجَرٌ وَالصَّخْرُ مُنْخَدِرُ
وَالرِّزْقُ يُقَرَّرُ فِي زَرْعٍ وَفِي بَشَرٍ
كَأَنَّهَا الْأَرْضُ بِالْأُرْوَاحِ تَأْتِمِرُ
لِوَلَاكِ وَالشَّيْخِ "أَبُو بَذْرٍ" بِهَمَّتِهِ
"عَلِي" فِي النَّاسِ مَا كَانَتْ لِذِكْرٍ
وَلَا ارْتَقَى اسْمُهَا فِي الْفِءِ وَاجْهَةٌ
بِهَيْبَةِ الْحَرْفِ بِالْأَضْنَوَاءِ تُنْفَعِرُ
عَلَوْتُمَا فِي سَمَاهَا فَاعْتَلَّتْ بِكُمَا
كَمَا عَلَا فِي السَّمَاءِ النُّجْمُ وَالْقَمَرُ
وَمِنْ وَرَائِكُمَا جِبَلٌ مَطَامِحُهُ
تَجَاوَزَ الْأَمْسَ فِي الْأَرْجَاءِ يَنْتَشِرُ
تَمْشِي بِهِ الْأَرْضُ وَالْأَقْدَامُ ثَابِتَةٌ
يَنْدِي وَيَعْلِي عَلَى سَنَسٍ وَيَقْتَدِرُ
وَسَوْفَ يَبْلُغُ أَفَاقًا مُجَاحِدَةً
مَاذَا مَ يُرْشِدُهُ مِنْ فِعْلِكُمْ أَتُرُ
أَبَا سَعِيدٍ إِلَيْكَ الْحُبُّ أَجْمَعُهُ
مَا أَشْرَقَ الصَّبْحُ أَوْ مَا رُتِلَتْ سُورُ
وَلِيَهَّكَ الشُّهُرُ وَالْأَعْيَادُ تَتَبَعُهُ
بِالسُّعْدِ وَالطَّيِّبِ مَا حَجَّوْا وَمَا اعْتَمَرُوا

وإنا لله وإنا إليه راجعون

البقاء لله

بقلوب يملؤها الحزن و عيون تفيض بالدمع , وأكف ضارعة إلى الله بالدعاء والتسليم بقضائه وقدره ننعي إلى أنفسنا وأهلنا وجميع محبي الراحل الكبير فقيدنا الغالي والد الجميع ورجل البر والإحسان

الشيخ / عمر قاسم العيسائي

أجزل الله ثوابه

ونتقدم بصادق المواساة والتعازي إلى أنجاله الميامين الشيوخ:

سعيد وعبدالله ومحمد , وجميع
الأهل الكرام

تغمد الله الراحل الكبير بمغفرته وعفوه ورضوانه , والهم ذويه الصبر والسلوان والسير على نهجه الخير ورعايته للناس في السراء والضراء , وفي السر والعلن وذلك أغلى موارثه التي تثقل كفة الحسنات في موازين الرحمن [يا أيتها النفس المطمئنة أرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي

ω .

الأسيفون :

سالم صالح محمد وأولاده صلاح
وبدر وخلدون, فضل النقيب وأولاده
خالد وعلي ومحمد وعمار, وعلي
صالح محمد وأولاده سامي وسالم,
ومحمد صالح محمد وأولاده صالح
وصلاح.